

صِفَاتُ الْقَائِدِ الْمِثَالِيِّ

(Arabic – Who is “The Ideal Leader”?)

أحبابي.. حديثنا اليومَ مَوْضُوعُهُ: صِفَاتُ الْقَائِدِ الْمِثَالِيِّ

ومن إنجيل متى الأصحاح العشرين نقرأ العددين السادس والعشرين والسابع والعشرين:

"مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ فِيكُمْ عَظِيمًا فَلْيَكُنْ لَكُمْ خَادِمًا. وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ فِيكُمْ أَوَّلًا فَلْيَكُنْ لَكُمْ عَبْدًا".^١

يُحْطِئُ مَنْ يَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ نَوْعَانِ بَعْضُهُمْ يَقُودُ وَبَعْضٌ آخَرُ يَنْقَادُ. وَلَكِنَّ الْحَقِيقَةَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ لِيَأْخُذَ مَكَانَ الْقِيَادَةِ وَلَكِنْ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ يَلْزِمُهُ أَنْ يَأْخُذَ مَكَانَ الْخُضُوعِ لِغَيْرِهِ مِنَ الْقَادَةِ. فَتِلْكَ طَبِيعَةُ الْحَيَاةِ الْمُلْزِمَةِ لِكُلِّ فَرْدٍ فِي الْمَجْتَمَعِ وَذَلِكَ لَيْسَ فِيهِ اخْتِيَارٌ لِأَحَدٍ. وَلَنْ تَسْتَقِيمَ أُمُورٌ أَى فَرْدٍ إِلَّا إِذَا أَخَذَ دَوْرَهُ الْمُنَاسِبَ فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ بِالطَّرِيقَةِ الْمُنَاسِبَةِ. لِيَقُومَ بِمَهْمَةِ قِيَادَةِ غَيْرِهِ وَأَنْ يُهَيِّئَهَا لِغَيْرِهِ بِمَحَبَّةٍ وَإِخْلَاصٍ وَتَعَاوُنٍ. إِنَّ صِفَةَ الْقِيَادَةِ غَرِيزَةٌ يُولِّدُ بِهَا الْإِنْسَانُ شَأْنَهَا شَأْنَ سَائِرِ الْغَرَائِزِ. وَلَكِنْ فِينَا مَنْ يُحْسِنُ اسْتِخْدَامَهَا وَفِينَا مَنْ يُسِيءُ. فَكَلْنَا قَادَةَ بِحُدُودِ تَطَلُّبِهَا طَبِيعَةً أَحْوَالِنَا. وَكَلْنَا بِحِثَاغِ لِقِيَادَةِ بِحُدُودِ تَطَلُّبِهَا طَبِيعَةَ الظُّرُوفِ وَالِاحْتِيَاجَاتِ الَّتِي نَمُرُّ بِهَا.^٢

لَقَدْ احْتَجْنَا فِي طِفُولَتِنَا إِلَى قِيَادَةِ الْآبِ وَالْأُمَّ. وَفِي مَرَحَلَةِ الدَّرَاسَةِ احْتَجْنَا إِلَى قِيَادَةِ كَمَا تَدْرِبُنَا فِي تِلْكَ الْمَدَارِسِ عَلَى أُسْلُوبِ الْقِيَادَةِ مِنْ مَثَلٍ وَأَنْمَاطٍ مِنَ الْقَادَةِ مِنْهُمْ الْكِفَاءُ وَمِنْهُمْ الْأَقْلُ كِفَاءَةً. وَبِالرُّجُوعِ إِلَى شَخْصِيَّاتِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ نَجِدُ أَمْثِلَةً مُتَوَعَّةً لِقَادَةِ نَجْحُوا وَيَا حَبْدًا لَوْ تَمَثَّلْنَا بِهِمْ وَأَمْثِلَةً أُخْرَى لِقَادَةِ فَشَلُوا لَيْتْنَا نَتَجَنَّبُ أخطاءَهُمْ وَنَتَحَذَّرُ مِنَ السَّبْرِ عَلَى مِثَالِهِمْ. وَمَثَلْنَا الْأَمْثِلُ لِنَتَّبِعَ هُوَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ فَهُوَ الْقَائِدُ الْمِثَالِيُّ. قَالَ بِالْأَصْحَاحِ الثَّامِنِ مِنْ إِنْجِيلِ يُوحَنَّا: "أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ مَنْ يَتَّبِعُنِي فَلَا يَمَسُّهُ فِي الظُّلْمَةِ بَلْ يَكُونُ لَهُ نُورٌ الْحَيَاةِ". وَقَالَ لِتَلَامِيذِهِ: "أَنْتُمْ نُورُ الْعَالَمِ. فَلْيُضِيئِ نُورُكُمْ هَكَذَا قَدَامَ النَّاسِ لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمْ الْحَسَنَةَ وَيَمَجِّدُوا آبَاكُمْ الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ". إِنَّ الرَّبَّ يَسُوعُ نُورُنَا وَنَحْنُ مُطَالِبِينَ أَنْ نَكُونَ نُورًا. وَلَقَدْ كَتَبَ بَطْرُسُ الرَّسُولُ فِي رِسَالَتِهِ الْأُولَى عَنِ الرَّبِّ يَسُوعَ: "تَارَكَآ لَنَا مِثَالًا لِكَيْ تَتَّبِعُوا خَطْوَاتِهِ".^٣ وَبِالتَّأَمُّلِ فِي كَلِمَةِ اللَّهِ نَسْتَخْلِصُ صِفَاتٍ سَبْعَ جَوْهَرِيَّةٍ لِلْقَائِدِ الْمِثَالِيِّ:

أولاً: **المحبة**.. وهي أولُ دَرَسٍ نَتَعَلَّمُهُ مِنْ قَائِدِنَا الْأَمْثِلِ الرَّبِّ يَسُوعَ. وَالْقِيَادَةُ إِنْ خَلَّتْ مِنْ عُنْصُرِ الْمَحَبَّةِ أَصْبَحَتْ قِيَادَةً فَاشِلَةً. إِنَّ مَحَبَّةَ يَسُوعَ الْمَسِيحِ لِلبَشَرِ مَحَبَّةٌ عَمَلِيَّةٌ قَدْ تَبَرَّهَنْتْ بِالْفِدَاءِ الْعَجِيبِ. كَتَبَ بُولُسُ الرَّسُولُ فِي رِسَالَتِهِ إِلَى مُؤْمِنِي رُومِيَةِ الْأَصْحَاحِ الْخَامِسِ يَقُولُ: "وَلَكِنَّ اللَّهَ بَيَّنَّ مَحَبَّتَهُ لَنَا لِأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لِأَجْلِنَا". وَسَجَّلَ يُوحَنَّا الْبَشِيرُ فِي إِنْجِيلِهِ قَوْلَ الرَّبِّ يَسُوعَ: "لَيْسَ لِأَحَدٍ حُبٌّ أَكْبَرَ مِنْ هَذَا أَنْ يَضَعَ أَحَدٌ نَفْسَهُ لِأَجْلِ أَحِبَّائِهِ". وَكَتَبَ بِالْأَصْحَاحِ الثَّالِثِ عَشَرَ عَنِ الرَّبِّ يَسُوعَ قَائِلًا: "إِذْ كَانَ قَدْ أَحَبَّ خَاصَّتَهُ الَّذِينَ فِي الْعَالَمِ أَحَبَّهُمْ إِلَى الْمُنْتَهَى". وَعَلَّمَ الرَّبُّ تَلَامِيذَهُ قَائِلًا: "بِهَذَا يَعْرِفُ الْجَمِيعُ أَنَّكُمْ تَلَامِيذِي إِنْ كَانَ لَكُمْ حُبٌّ بَعْضًا لِبَعْضٍ".^٤

ولكن من أين تأتينا المحبة؟ إنها ثمرُ الرُّوحِ الْقُدُسِ فِينَا. فَقَدْ جَاءَ بِرِسَالَةِ بُولُسِ الرَّسُولِ إِلَى مُؤْمِنِي غَلَاطِيَّةِ: "وَأَمَّا ثَمَرُ الرُّوحِ فَهُوَ مَحَبَّةٌ". إِنَّ الْمَحَبَّةَ هِيَ "رَبَاطُ الْكَمَالِ" بَيْنَ الْقَائِدِ وَمَنْ يَقُودُهُمْ كَمَا جَاءَ بِرِسَالَةِ بُولُسِ الرَّسُولِ إِلَى مُؤْمِنِي كُولُوسِي الْأَصْحَاحِ الثَّالِثِ. وَهِيَ تَعْطِي ثِقَةً وَأَمَانًا بَيْنَ قَائِدِ الْجَمَاعَةِ وَمَنْ يَقُودُهُمْ. "فَلَا خَوْفَ فِي الْمَحَبَّةِ بَلْ الْمَحَبَّةُ الْكَامِلَةُ تَطْرَحُ الْخَوْفَ إِلَى خَارِجٍ". إِنَّ الْمَحَبَّةَ تَتَوَجَّ الْقَائِدِ الَّذِي انْتَمَتْهُ اللَّهُ عَلَى رِعَايَةِ النُّفُوسِ الْعَرِيزَةِ بِإِكْلِيلِ النُّصْرَةِ. فَلَقَدْ جَاءَ بِرِسَالَةِ بُولُسِ الرَّسُولِ الْأُولَى إِلَى مُؤْمِنِي كُورِنْثُوسِ الْأَصْحَاحِ الثَّالِثِ عَشَرَ ذَلِكَ النَّصُّ: "فَالْمَحَبَّةُ لَا تَسْقُطُ أَبَدًا". إِنَّهَا أَكْبَرُ الْوَصَايَا كَمَا قَالَ الرَّبُّ يَسُوعَ. وَلَيْسَ مِنْ أَقَةِ كَالِإِثْمِ لِيُضْعَفَ

استمع إلى الإنجيل

^١ إنجيل متى ٢٠: ٢٦ - ٢٧ ،

^٢ رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس ٤: ١٢

^٣ إنجيل يوحنا ٨: ١٢ ، إنجيل متى ٥: ١٤ - ١٥ ، رسالة بطرس الرسول الأولى ٢: ٢١

^٤ رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى رومية ٥: ٨ ، إنجيل يوحنا ١٣: ١٣ & ١٣: ٣٥ ، إنجيل متى ٢٢: ٣٨

المحبة فلقد ذكر متى البشير في إنجيله الأصحاح الرابع والعشرين قول الرب يسوع لتلاميذه: "ولكنه الإثم تترد محبة الكثيرين". ليتنا نعرف باتمامنا ولا نكتمها فالله في محبته يغير لنا ودم يسوع ابن الله يطهرنا من كل خطية.^١

ثانيا: الاتضاع.. يذكر يوحنا البشير بإنجيله: أن الرب يسوع غسل أرجل تلاميذه ثم قال لهم: "اتفهمون ما قد صنعت بكم؟. أنتم تدعونني معلما وسيدا وحسا تقولون لأني أنا كذلك. فإن كنت وأنا السيد والمعلم قد غسلت أرجلكم. فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض". وقد ذكر متى البشير في إنجيله قول الرب يسوع: "تعلموا مني لأني وديع ومتواضع القلب". كما كتب بولس الرسول إلى مؤمني فيلبى يقول: "فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضا. الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلا لله لكنه أخلى نفسه أخذا صورة عبد صائرا في شبه الناس. وإذ وجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب".^٢

ثالثا: المشاركة والمشورة.. إن القائد الحكيم لا يضع حاجزا بينه وبين من يقودهم. بل يجعلهم يحسون بقربه منهم. يتألم إذا تألموا ويفرح إذا فرحهم. لقد "بكي يسوع" عند قبر لعازر قبل أن يقيم من بين الأموات. وذكر متى البشير في إنجيله الأصحاح الخامس عشر أنه قبل أن يجرى يسوع معجزة إشباع الجموع التي اجتمعت لتستمع إليه. دعا تلاميذه وقال لهم: "إني أشفق على الجمع لأن الآن لهم ثلاثة أيام يمكن معي وليس لهم ما يأكلون. ولست أريد أن أصرفهم صائمين لئلا يخوروا في الطريق". وكتب بولس الرسول في رسالته إلى مؤمني رومية بالأصحاح الثاني عشر قائلا: "فرحا مع الفرحين وبكاء مع الباكين مهتمين بعضكم لبعض اهتماما واحدا".^٣

رابعا: البذل والتضحية.. إن الرب يسوع بصليبه جذب قلوب بلايين البشر. فعلى الصليب بذل نفسه عن العالم وهو بهاء مجد الله ورسم جوهري وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته. ولقد علم تلاميذه أن العظمة الحقيقية هي في البذل والعطاء والتضحية وإنكار الذات إذ قال لهم: "من أراد أن يكون فيكم عظيما فليكن لكم خادما. ومن أراد أن يكون فيكم أولا فليكن لكم عبدا. كما أن ابن الإنسان لم يأت ليخدم بل ليخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين".^٤

خامسا: الخضوع للقادة.. كم من قادة فشلوا لأنهم ظنوا أنفسهم أنهم كاملون في كل شيء. لا يعوزهم شيء من الخبرة. وليسوا في حاجة إلى مرشدين حكماء يسترشدون بهم. أو لقادة يخضعون لوصائحهم. إن لم يعتبر القائد نفسه محتاجا لمن ينصحه ويرشده لن يكون قائدا ناجحا. لقد ذكر يوحنا البشير بإنجيله الأصحاح الثامن العاشر والثامن والعشرين قول الرب يسوع: "لست أفعل شيئا من نفسي بل أتكلم بهذا كما علمني أبي".^٥

سادسا: القوة الصالحة: القائد المثالي في سلوكه الشخصي يعطي مثلا يحتذيه الآخرون. إن بولس الرسول في رسالته إلى تيطس الأصحاح الثاني يقول: "مقدمًا نفسك في كل شيء قوة للأعمال الحسنة ومقدمًا في التعليم نفاوة ووقارا وإخلاصا وكلاما صحيحا غير ملوم لكي يخرى المضاد إذ ليس له شيء رديء يقوله عنكم".^٦

سابعًا: القائد المثالي يتعلم من تجارب القادة.. السالفيين والمعاصرين أبناء الله الذين تميزوا بالتقوى. ويسترشد بكلام الله ويسلك بقيادة الروح القدس. شعاره ما جاء بالمزمور التاسع عشر بعد المائة لداود: "سراج لرجلي كلامك ونور لسبيلي". أولسنا في حاجة إلى أن نتعلم من قائدينا الرب يسوع. كيف نكون قادة على مثاله في البيت الذي نرعاه. وفي العمل الذي نباشره. وفي الكنيسة مع عبيد الله. وفي الخدمة التي ائتمنا الله عليها؟.

ليتك أخي تشترك معي في تلك الصلاة: أبانا السماوي.. أشكرك من أجل تنازل الابن الوحيد. فادى ومخلصي وربى يسوع المسيح. من أحبني إلى المنتهى مضحيا من أجلى. تاركا لنا مثلا لكي نتبع خطواته. أرفع صلاتي في اسم يسوع البار. مؤمنا ومتكلا على وعدك الصادق. يا من قلت: من يقبل إلي لا أخرجته خارجا.

أخي القارئ العزيز.. إن أردت سماع تلك الرسالة أو غيرها ستجد ذلك في:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

^١ رسالة بولس إلى غلاطية ٥: ٢٢، إلى كورنثوس ٣: ١٤، يوحنا الأولى ٤: ١٨، الأولى إلى كورنثوس ١٣: ٨، إنجيل متى ٢٤: ١٢

^٢ إنجيل يوحنا ١٣: ١٢ - ١٣، إنجيل متى ١١: ٢٩، رسالة بولس الرسول إلى مؤمني فيلبى ٢: ٥ - ٨

^٣ إنجيل يوحنا ١١: ٣٥، إنجيل متى ١٥: ٣٢، رسالة بولس الرسول إلى مؤمني رومية ١٢: ١٥

^٤ الرسالة إلى العبرانيين ١: ٣، إنجيل متى ٢٠: ٢٨

^٥ رسالة بولس الرسول إلى تيطس ٢: ٧ - ٨